وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللّغة العربيّة

شخصيّة المثقف في روايات سعد محمد رحيم

رسالة مقدمة إلى

مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ديالى وهي

جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربيّة وآدابها

من الطالبة

أيثار ماجد صالح

بإشراف

أ. د. نوافل يونس سالم

١٤٤٤هـ ٢٠٢٣م

الفصل الأول

شخصية المثقف والقضايا الاجتماعية والفكرية

المبحث الأول: شخصية المثقف والقضايا الاجتماعية

المبحث الثاني: شخصية المثقف والقضايا السياسية

المبحث الأول
شخصية المثقف والقضايا الاجتماعية

المبحث الأول:

شخصية المثقف والقضايا الاجتماعية

مدخل:

تؤدي الشخصية المثقفة دورًا مهمًا، في بناء المجتمعات، لما لها من دورٍ كبيرٍ في توعية أفراد المجتمع, ونقدِ المظاهر السلبية فيه, والدفاع عن القضايا التي من شأنها أنْ تحقق الازدهار في المجتمع, وتسعى إلى نهوضه، ولجأ كثير من الكتَّاب والأدباء في عصرنا إلى الرواية لأنّها نتاجٌ أدبيٌّ ثقافيٌّ فكريٌّ واجتماعيّ، كونها عملاً أدبياً يُقدّمُ في مجتمع إنساني بما فيه من فئاتٍ متنوعةٍ, وطبقاتٍ متعددةٍ, وبما تحكم مكوناته من علاقات متشابكة, ومتداخلة, فضلًا عما تطرحه الرواية من قضايا اجتماعيَّة مختلفة في سيرورتها السرديّة بما تقدِّمُهُ من أحداثٍ وشخصيات تعبّر عن آرائها, ورؤيتها, ومواقفها من الحياة الإنسانية عمومًا.

للمثقف حضوره الفاعل في التأثير في مجتمعه ،فتبنيه المواقف ودفاعه عن المبادئ التي آمن بها، ومحاولته كشف سلبيات القضايا الاجتماعية والدعوة الى التغيير، ورصد إيجابيات كانت غائبة عن الوعي الجمعي والعمل على تحبيبها أو تقريبها من الناس، ودفاعه في تحقيق ما يحترم الواقع الاجتماعي ،مرتبطاً بظروفه أو مكانه، كل هذا مهمة لايضطلع بها الأّ من تمثلت شخصيته بالثقافة ، وأصبح لها مؤهلاً لأن يمثل حافزاً للتغيير والتطور.

تتمثل مواقف المثقف في روايات سعد محمد رحيم في شخصيات تبنت رؤى وافكاراً تنم عن وعيها ازاء بعض القضايا الاجتماعية والسياسية وغيرها ، ومن أهم القضايا الاجتماعية، التي تناولتها روايات سعد محمد رحيم قضايا التفاوت الطبقي, والغربة الداخلية المتمثلة في إشكالية الشخصية المثقفة في مجتمعٍ تجد نفسها فيه غريبةً عنه، أو متقاطعة معه بسبب ما يسوده من أعراف وتقاليد, وما ينتشر في مجتمعها من فساد واستبداد. ومن

الموضوعات، التي جسدتها شخصية المثقف، وكشفت عن رؤاه ومستوى تفكيره؛ هي موضوع المرأة وقضاياها ومشكلاتها، وهذا ما سنتناوله في مباحث الفصل.

أولاً: موقف الشخصية الأنثوية المثقفة من القضايا الاجتماعية:

رصدت روايات سعد محمد رحيم، مواقف الشخصيات المثقفة من قضايا المرأة وتمردها على واقعها وإيصال صوتها في محاولة لتغيير الواقع الذكوري المهمش لها،كما تعكس مواقفها من قضايا المجتمع واعرافه ومن تلك المواقف:

١ ـ موقفها من الحب:

كان للتطور الذي يشهده العالم بأسره في مجال الاتصالات وغيرها، دوراً في تمرد المرأة على واقعها فقد"استطاعت الرواية العربية على مدى عقود، أن تُعبِّدَ الطريق أمّام تعريف المرأة بحقوقها"[١] و أشركتها في جميع ميادين الحياة، وأنيطت بها ادوارا أثبتت فيها قدرتها وشخصيتها ، وهذا ما سلط سعد محمد رحيم الضوء عليه في رواياته ،بالزج بشخصيات أنثوية، كان لها حظها منْ الثقافة والتعليم عاشت تجربة الحب، على الرغم من الخوف من أعراف المجتمع وقوانينه، ومن تلك الشخصيات شخصية نهلة في رواية **فسحة للجنون**، التي توصفها الرواية بالقول: هي شخصية مثقفة, تخرجت في قسم الصحافة, وتنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية, فوالدها كان محاميًا, وسياسيًا, وقد سُجنَ لمعاداته انقلاب ١٩٦٣, وبعد خروجه من السجن ترك السياسة والمحاماة وصار تاجر أقمشة[٢]. جسدت شخصية نهلة تحدي المرأة لقوانين المجتمع، ووصايته عليها في منعها مثلاً من خوض تجربة الحب وممارسة طقوسه، مثل الخروج معاً، والحديث واللقاء العاطفي وغير ذلك، مما تخافه من سلطة البيت والشارع، متمثلاً في الناس القريبين الجيران، أو المجتمع كما تقول:

---

(١) الرواية النسوية العربية،مساءلة الأنساق وتقويض المركزية: عصام واصل، دار كنوز، عمان/الأردن، ط١، ٢٠١٨م: ١٥. وينظر: الإسهام النسوي في الرواية العربية: إيمان القاضي، مجلة المعرفة/ سوريا، دمشق، العدد رقم ٣٢٤ ـ ٣٢٥، ١ أكتوبر، ١٩٩٠م:١٠٢.

(٢) فسحة للجنون: سعد محمد رحيم، دار سطور, العراق, ط١, سنة ٢٠١٨: ٩٢.

"ـ قالت: لنذهب تأخرنا.

ـ تعرفين أني أحبكِ

ـ لنذهب تأخرنا... أبي قلق عليَّ الآن.

ألفيا نفسيهما في الأعظمية، اقترح أن يمشيا المسافة إلى ساحة عنتر، ومن هناك يمكنها أن تستقل تاكسياً يوصلها إلى مسكنها في حي اليرموك، اعترضت؛ لا أريد العودة إلى البيت ليلاً، ماذا سيقول الجيران عني؟ ثمة خوف وتردد وارتباك من الجيران انتاب نهله **"ضحك بانتشاء، قالت نحن في الشارع ويمكن أن يرانا أي أحد يعرفنا. غير أنّه لم يفلت يدها... فاجأته بالقول: أنت تصف نفسك باليساري، لكن أحلامك تكشف عن برجوازي مؤصل، أطلق ضحكة صاخبة لفتت انتباه المارين، ابتسم بعضهم؛ فيما رجل شيخ ومن غير أن يلتفت نحوهما راح يهزُّ يده بإنكارٍ"**[١]. فمع الخوف تمتزج الضحكة باسلوب ساخر نلحظ ان الروائي قد طرح بعض القضايا منها الخوف من السلطة التي تطارد الشخصيات المثقفة ويقدم بأسلوب سردي الهجوم على مدعي اليسار البورجوازي، وابتسامة بعض المارة تحمل سيميائية الرضا اما الشيخ اللذي يهز بيده يعبر عن احتجاجاه وسخريته ، فهذه النص جسّد صراعاً ثقافياً .

وعلى الرغم من مخاوفها، فقد حاولت هذه الشخصية، أنْ تتخذ موقفاً بالتمرد على المفاهيم القديمة، التي تحظر عليها تجربة الحب، وذلك بالخروج مع حبيبها رغم نظرات المجتمع المستنكرة، وكذلك بالاختلاء معه، وتبادلهما القبل مع قليل من الإحساس بالخوف أو الندم، يخبرنا السارد"في منتزه الزوراء وضع يده تحت أذنها، أمّالت رأسها وأطبقت على كفه بين جيدها وكتفها، قرَّب وجهه وقبل فمها قبلة سريعة، كان إحساسها "هي الأخرى مع

---

(١) فسحة للجنون: ٨٤، ٩٣ ـ ٩٥.

خيط غامض رفيع من الشعور بالخوف والذنب والندم، بيد أنها لم تحاول أنْ تحرِّر جسدها منه، من احتضانه القوي الراسخ"[١].

وعلى الرغم مما يظهر المقطع، من جرأة تمتعت بها شخصية نهلة إلا أنها بدت خائفة وهي تقبّل حبيبها, وهذا ما يدل على وعيها بأنْ المجتمع لنْ يفهم تصرفاتها, ومع ذلك, فإنَّ دافع حبها لعامر كان أقوى من خوفها, لأنها لم تحاول أن تبعد جسدها عن حبيبها.

ومن الشخصيات المثقفة الجريئة، التي قدمتها رواية **مقتل بائع الكتب** شخصية رباب وهي شخصيةٌ رومانسيّةٌ, تنتقد واقعية محمود المرزوق, وتعتقد أنّ الحب سيهزم الشر."[٢] تحب الموسيقى، وتستمع إلى شوبرت وموزارت. [٣] وهي أيضاً لا تجد حرجًا، في التمرد على العادات والتقاليد، في المجتمع العراقي, وهذا ما تجلى في مذكرات محمود المرزوق, إذ جاء فيها: " **جاءت رباب من غير موعد مسبق قبل الغروب والدنيا برد وعواصف ومطر. أول شخص يدخل المكتبة منذ الصباح... قالت : " سأبيت الليلة عندك " ... جفلت : " ماذا ؟ " ووثبت مثل لبوة وأنزلت الباب .... رباب مجنونة...**"[٤] فقد تصرفت بحرية أقرب إلى أنْ تكون نزوة في تصرفاتها وتحقيق رغباتها الخاصة.

وتمثِّل شخصية حنان، في رواية **ترنيمة امرأة شفق البحر** الشخصية الشرقية المثقفة، التي تحطِّمُ الصورة النمطية في العلاقة بين الرجل والمرأة، وذلك بجرأتها وتمردها، إذ تطلب قبلةً من سامر الخوَّاف المتردد، كما تقول عنه:

"**صعدتِ العربة، ثم سارت الهوينى قبل أنْ يتلقفها المنحدر الأول، فأطلقت حنان صرخة لم يكن فيها أثر للخوف، كانت حنان مهتاجة، تضحك وتعيط.**

ـ أتحداكَ إنْ فعلتها الآن.

---

(١) فسحة للجنون: سعد محمد رحيم:٨٨.

(٢) مقتل بائع الكتب: سعد محمد رحيم: دار سطور, العراق, ط١, ٢٠١٦: ٧٣.

(٣) المصدر نفسه: ٧٤.

(٤) المصدر نفسه: ٧٤.

- ماذا؟

- قبلني.

- أكانت تفتعل الابتهاج، أم أنّها وجدت حريتها أخيراً على حواف العدم؟ أم تراها كانت في حالة اختبار لذاتها، في هذه الفوضى الصعبة بين الحب والحرية والموت؟"(١).

لقد أدركت حنان أنها ستموت قريبًا، بعد أنْ علمت بمرضها, وهذا ما شجعها على أن تمارس حريتها، فيما بقي لها من العمر, وفي الوقت نفسها منحها القوة لتعبر عن مشاعرها في محاولة منها لاختبار ذاتها.

ومن الشخصيات، التي اتخذت موقفاً واضحاً تجاه قضية الحب، الصحافية العراقية فاتن في رواية مقتل بائع الكتب، والتي رفضت الاستمرار بعلاقة حبٍّ مع أحدهم أثناء دراستها في الكلية، بسبب غيرته الشديدة، تقول:

"**حكتْ لي عن علاقة حب فاشلة، عاشتها مع رجل زميل لها في الكلية، كان نزقاً وأنانياً غيوراً بشكل غير منطقي، شكاكاً تقول: اكتشفتُ أنّ حياتي معه إنْ تزوجته ستكون جهنم الحمراء، لحقَ بي اعتذر حاول تمثيل حالة بكاء، ولم يَقْدِر... كان هناك شيء مغشوش فيه ....** "(٢).

ولم تتخذ كل الشخصيات الأنثوية، في الروايات موقفاً إيجابياً من قضية الحب، فبعض تلك الشخصيات، طغى على أفكارها النزعة التشاؤمية، بعد تجربة طلاق مُرَّةٍ، ومنها شخصية الدكتورة حنين في رواية ظلال جسد, التي تعرّف عليها علاء البابلي في قاعة الأساتذة بنادي الجامعة, وأخبرته بأنها أستاذة النقد الأدبي الحديث في الجامعة (٣). شخصية عبَّرت عن هموم المرأة عموماً، لا سيما بعد إقامة علاقة حب جديدة مع علاء البابلي،

---

(١) ترنيمة امرأة.. شفق البحر: سعد محمد رحيم: فضاءات للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، ط١، ٢٠١٢م: ٨٨، ٨٩.

(٢) مقتل بائع الكتب: سعد محمد رحيم: ٢٣.

(٣) ظلال جسد.. ضفاف الرغبة: سعد محمد رحيم:٨٢

الشخصية الاكاديمية المثقفة وكانت لها مواقف تجاه قضايا وجودية كبرى، حول الحياة, والموت, والإنسان, تقول في أحد المواضع من الرواية: " **الحياة ليست سيركًا, ولسنا حفنةً من المهرجين، حتى لو أردنا أنْ نكون كذلك... الحياة تراجيديا رحلة يوليسيس وانتظار بنيلوب, تراجيديا سيزيف المثقل بالصخرة, تراجيديا روميو وجولييت... تراجيديا نصنعها بإرادتنا لأننا هكذا جُبلنا, طينتنا هكذا, قدرنا هكذا, أنْ نكون أحرارًا ونحن نمضي نحو النهاية إلى الهاوية.**"(١) يمكن أنْ نلحظ انّ الروائي يعبر عن الحياة براع وحروب طروادة والأساطير اليونانية ، فيستعير تراديديا سيزيف وروميو،فيرمي بشخصياته الانثوية في هذا الصراع كي تبرز هوية شخصياته الانثوية، وما تمثله هويه كل شخصية، وبناء على النص السابق، يتلخص الموقف الفكري، لشخصية الدكتورة حنين في عجز الإنسان، عن فهم الطبيعة البشرية, وإدراك لغز الوجود الإنساني, لما فيه من تناقضات ومفارقات, ولما يتسم به الوجود الإنساني من التجدد والتحول, والتغير من حالٍ إلى آخر، وأنّ عجز الإنسان عن فهم الوجود الإنساني, يدل على مأساة الكائن الإنساني, وعلى عظمته في الوقت نفسه, فهو عاجز عن فهم سر وجوده, وهذا العجز يدلُّ على عظمته. ويطغى على تفكيرها النزعة التشاؤمية، في رؤيتها للحياة الإنسانية, إذ ترى أنّ الموت " **يحيل كل شيء إلى مأساة**"(٢), وأن التفكير بعمقٍ في هذه الحياة يحيل إلى كآبةٍ, وأنْ المرء يمكنه الهروب من المأساة الإنسانية ،على وفق العبث أو الكوميديا, أو النسيان.(٣)

فشخصية حنين، شخصية مثقفة، طموحة تحمل آيدلوجية عن مجتمع متمدن ثقافياً، عكس الشخصيات الأخرى، فهي شخصية مائزة ،وهذا يدل على إعطاءه لهكذا شخصية دوراً

(١) ظلال جسد.. ضفاف الرغبة:٨١.
(٢) المصدر نفسه:٨٢.
(٣) المصدر نفسه: ٨٢.

واحداً،على عكس الشخصيات الأخرى،التي تحمل هوية آيروسية جنسية، مثل شخصية رواء العطار، أو نهى .. الخ

ومن الشخصيات المثقفة الشخصية الأجنبية كلوديا، في رواية **ترنيمة امرأة.. شفق البحر**،شخصية تعيش ظروفاً مغايرة عن التي تعيشها المرأة العربية والعراقية ،فقد قدمها االروائي للتعريف بهوية المرأة العربية والمراة الاجنبية، فضلا عن الآيدلوجيات بين القوميتين، فكلوديا امرأة " **إيطالية, تتقن الإنجليزية جيدًا, وتستطيع التفاهم مع من يفهمها, بالعربية, ولها شغف بالسفر, لاسيما إلى أصقاع الشرق. ترغب بعبور صحارى إفريقيا, وسلوك طريق الحرير في مجاهل آسيا, على ظهور الخيل والجمال, أو مشيًا على الأقدام بصحبة فتى من الشرق صبور وشجاع. تحلم أنْ يخرج لها من أغوار حكايات ألف ليلة وليلة.**"[١]، إلا أنّها لعبت دوراً في إظهار التناقضات بين الشرق والغرب، والبحر يمثل رمزاً. ولكن "المفارقة أن هذا التعويض الذهني ما بين الشخصيتين ساهم في تحريف دلالة البحر من كونه رمزاً للحرية حين تم استحضاره في مدينة بلا بحر / بغداد ، إلى كونه رمزاً للأسى والفقدان حين استحضره الراوي في مونولوج مغرق في شعريته – كأغلب مونولوجات الرواية – وهو ما يزال في إيطاليا بلاد البحر[٢] أظهرته الرواية من شخصية كلوديا القوية، وجرأتها، وتحررها، وقد عاشت هذه الشخصية، في ظروف تشبه ما تعيشه المرأة في المجتمعات الشرقية؛ إذ بعد أنْ ولدت كلوديا ظهرت بين والديها " **غيوم عكرة.. ربما لأنه كان يخونها, وقد اكتشفت خيانته بوساطة تحرٍ خاص استأجرته لهذا الغرض, بحسب اعتقاد كلوديا. وربما, لأنها كما صرخ زوجها بوجهها في ساعة غضب, راحت تفقد كثيرًا من إثارتها ورونقها بسبب عصبيتها الزائدة وشكوكها وأوهامها.**"[٣]

---

(١) ترنيمة امرأة ... شفق البحر: سعد محمد رحيم: ٨.

(٢) ترنيمة إمرأة .. شفق البحر رواية في ثلاثة نصوص وبدايتين، ليث الصندوق، مقال منشور على موقع النقاد العراق ،٢٠١٧،

(٣) ترنيمة امرأة ... شفق البحر: ١٢٧

وقد عبَّرت الرواية عن أحلام كلوديا، وهواجسها تجاه قضية الحب، التي تمثل عند المرأة عموماً محوراً مهماً في حياتها، وقد تجلَّى هذا الموقف في الحوار الذي دار بينها وبين الشخصية الرئيسة، في الرواية نفسها، وهي شخصية سامر، وقد أضفت كلوديا في حديثها عن الحب بُعداً فلسفياً، عبَّر عن رؤية عميقة بعد تجربة فاشلة خاضتها في مراهقتها، تقول: "أقول لها:

ـ إنك تبحثين عن فردوسكِ المفقود.

ـ تقول: كلنا يا سامر نبحث عن فراديسنا المفقودة، إنه وهمنا الذي يساعدنا على الحياة.

أقول : ربما كنت تبحثين في المكان الخطأ، وبالطريقة الخطأ.

ـ تقول: ولو.... عندما أتأكد من الخطأ، سأبحث في مكان آخر، بطريقة أخرى"[١]. فقد أفصحت الرواية عن رأيها في حرية المرأة، وأنها مسؤولة عن قرارتها الصائبة أو الخاطئة في موضوع الحب، وأنها قادرة بوعيها على إصلاح الخطأ، وهذه الشخصية الأنثوية وإنْ كانت تنتمي إلى الثقافة الغربية، إلا أنَّ دورها كان واضحاً في إبراز الصوت الأنثوي الحر الواعي؛ أبرز ما عايشته كلوديا، من ظروف مشابهة لما تحياه المرأة وتعانيه في الشرق.

ومما مرّ يمكن القول: أسهمت صورة المرأة، التي جسّدها سعد محمد رحيم في رواياته، في التعبير عن رؤيته الفكرية، التي تنمُّ عن حرصٍ على جعل المرأة تعبر عن آرائها, وأفكارها حول موضوعات عديدة, فضلًا عن حرصه على تقديمها بوصفها امرأة متمردة، مثل شخصية رباب في رواية مقتل بائع الكتب, وشخصية نهلة في رواية فسحة للجنون، وغيرها من الشخصيات.

---

(١) ترنيمة امرأة ... شفق البحر: ١١.

ثانياً ـ موقف الشخصية الأنثوية المثقفة من التسلط الذكوري:

حاولت الرواية العربية منذ ظهورها التركيز، "على موضوعات حسَّاسة، تمس المجتمع العربي وبنيته وتركيبه[١]، مثل موضوع الصداقة بين الرجل والمرأة، أو قضية التسلط الأبوي، وأن تصور ما تعانيه المرأة من ألوان العذاب والقهر، يقول الدكتور عصام واصل "التنافر بين الذات الأنثوية والأب أمّا لإهمال الأب، أو لتسلطه، أو سطوته، أو لتعامله الفظ مع الأم ومع الذات أثناء الطفولة، فينمو معها الانشراخ حتى تكبر، فيكون الناتج الكلي، لهذه العلاقة هو الكره المركب للأب، وتحطيم مصدر سلطته كلياً، وخلخلة صورته، رفضاً لعلاقة التبعية معه، واحتجاجاً على ما يقوم به من أفعال ضدها....و يكون في نمطين **الأول** علاقة مباشرة قائمة على فعل ورد فعل مضاد له وناتج عنه، قد يكون الأب هو القائم بالفعل وتقوم الابنة برد الفعل، أو الابنة هي من تقوم بالفعل وما يقوم به الأب هو رد الفعل على فعلها، أمّا النمط الآخر، فتكون العلاقة فيه بينهما مضطربة، نتيجة لما يرتكبه الأب ضد الذات من عنف ذكوري، أو ضد الأم، وينتج عنه انشراخ لا يلتئم أبداً"[٢]، وليس التسلط الأبوي هو ما تعانيه المرأة فقط، وإنّما تسلط الزوج على زوجته، وهو امتداد لتلك الصورة النمطية للهيمنة الذكورية على المجتمع وإهمال المرأة وحقوقها حيث " يعدُّ بيت الزوج امتداداً للبيت العائلي واستمراراً له، تسلطاً وكبتاً وسيطرة، وإملاء لشروط محددة على المرأة.... ويصبح فضاءً لممارسة أنواع العنف الذكوري تصادر فيه هوية المرأة"[٣].

حاولت روايات سعد محمد رحيم، تسليط الضوء على هذه القضية، على نحو مباشر أو غير مباشر، في تصويرها مختلف الشخصيات، التي تتحرك على أرض الواقع المجتمعي، وفي

---

(١) قضايا الرواية العربية الجديدة/ الوجود والحدود: سعيد يقطين، دار الأمّان، الرباط، ط١، ٢٠١٢م: ٩، ١٠.

(٢) الرواية النسوية العربية/مساءلة الأنساق وتقويض المركزية: عصام واصل: ١٤٥، ١٤٦.

(٣) منطق السرد ـ دراسات في القصة الجزائرية الحديثة: عبد الحميد بورايو، الجزائر، منشورات السهل ، د.ط ٢٠٠٩م: ١٧٩.

علاقاتها المتشابكة، التي تعبر عن طريقة حياتهم، وسايكولوجية التعامل، بما تمليه عليهم ثقافاتهم وعاداتهم وتقاليدهم.

يتمثل الموقف السلبي في رواية **ترنيمة امرأة .. شفق البحر** عبر وصف أحد المواقف وهو موقف المعلِّمة حنان في رواية ترنيمة امرأة.. شفق البحر من خطيبها السابق مازن، الذي رفضه أبوها في البداية، إلا أنه بعد إصرارها يوافق على خطبتها منه، تقول: "تحدثني عن أبيها صاحب المتجر في سوق الديوانية، وأمها الطيبة، إلى حد السذاجة، وإخوتها الثلاث واحد مهندس وواحد يعمل في الأردن نجاراً، وواحد لم يكمل دراسته، استشهد هو الآخر في الحرب تحدثني عن مازن خطيبها الراحل ـ كيف التقيا وهي ما تزال في السادس الإعدادي ـ خطبها ولم يوافق الأب في البدء، غير أنّه أذعن بعد طول توسل وإصرار"[(١)]. وهذا الموقف يكسر رتابة العلاقة الشرقية، المتمثلة في قهر الأبوية وضغطه تجاه أفراد عائلته، لاسيما الإناث منهن

ومن الشخصيات، التي عبَّرت عن رأيها حول المفاهيم الوجودية، مثل الحب والصداقة, وحول الحياة الإنسانية, وجوهر الإنسان, فضلًا عن أهميتها في تجسيد الصراع بين الشرق والغرب, شخصية هانا ابنة المستر ديفيد, الفتاة البريطانية التي جاءت إلى العراق، مع أبيها عالم الآثار عندما كانت فتاة شابة, وذلك عبر سرد علاقتها برمزي[(٢)], ولاسيما فيما يخصُّ سردها للأفكار التي راودتها في مسألة علاقة ابنة رمزي مع حبيبها, الأمر الذي من شأنه، أنْ يبيّن الاختلاف بين الشرق والغرب المتمثل في طليعة تفكير رمزي وهانا, تقول هانا: " أَعجبُ كيف أن أمرًا كهذا يجعله مهمومًا إلى هذا الحد. فابنته لم تفعل شيئًا سوى أنّها بنت علاقة حب مع زميلها الطبيب ... هي مساعدته... طبيبة راشدة, حتى

(١) ترنيمة امرأة... شفق البحر: سعد محمد رحيم: ٧٩، ٨٠.

(٢) القطار إلى منزل هانا: سعد محمد رحيم، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق, ط١, سنة ٢٠١٨: ١٠٩.

أنه ليس متأكدًا إن كانا يمارسان الجنس.. وماذا لو كانا يفعلان؟... سيكون سعيدًا وفخورًا أمّام نفسه إن ضاجعته أنا... يغضبني هذا الانفصام في تفكيره.. يسوّغه بأن الجنس خارج مؤسسة الزواج جريمة تثلم الشرف، في معتقد الناس الذين تربطه بهم صلة قربى... فهناك لا وجود لشيء اسمه استقلالية الفرد المرأة التي بصحبتها.."(١).

فقد تجلى موقف هانا واضحاً، في حديثها عن شخصية رمزي وأفكارها, وتناقضاتها, وما وصفته بالانفصام في تفكيره, فهو بسبب انتمائه للشرق يرفض أن تقيم ابنته علاقة غرامية مع زميلها في العمل, لكنه في الوقت نفسه سيكون سعيدًا وفخورًا إن أقامت هانا معه علاقة جنسية. وكذلك تبرز المفارقة، وفقاً لما تطرحه من موضوعات تبيّن التناقض والصراع بين الشرق والغرب, مثل الزواج, واستقلالية الفرد, ومكانة المرأة في المجتمعين الشرقي والغربي, فالفرد في الغرب حسبما ترى هانا يتمتع باستقلالية, وحرية تمكنه من ممارسة حياته الشخصية, ومن تحديد خياراته بالحياة, بخلاف ما هو عليه حال الفرد في الشرق, وخصوصًا المرأة التي ترزح تحت سطوة الرجل.

وتقدم الرواية صورة لحياة زوجية غير مستقرة, ومحكومة بالمجتمع الذي تعيش فيه الشخصية, وبالمستوى الثقافي لكلا الطرفين, وتجسدت هذه الصورة من خلال شخصية الخادمة نعيمة، التي تعمل في منزل ديفيد وزوجته جاكلين في رواية القطار إلى منزل هانا, فنعيمة تعمل بجد وتعب في بيتهما, لكن زوجها رجلٌ كسول, يسلبها نقودها, ويغتصبها كل ليلة, وهذا ما أثار استغراب السيدة جاكلين بقولها: " ولكن لماذا تذعن؟ لماذا تستسلم بذلٍ لشبق ذلك الوحش الكسول الذي يسلبها, ويغتصبها في كل ليلة, ويضربها."(٢)

وترى السيدة جاكلين، أنّ مصير نعيمة، وزواجها برجل يستغلها ويضربها مرتبط بالمجتمع وعاداته وأفكاره, فلو عاشت نعيمة في مجتمع غير مجتمعها, وظرف غير ظرفها, لحظيت

---

(١) القطار إلى منزل هانا: سعد محمد رحيم: ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٢.

بمكانة أهم مما هي عليه في واقعها, وكان مصيرها مختلفًا عما هو عليه الحال في مجتمعها, تقول جاكلين: " في ظرف آخر, في مكان آخر كان يمكن أن تكون قائدة جماهيرية, كاتبة مثل فرجيينا وولف, مصممة أزياء كشانيل."[١] فالسيدة جاكلين، تمثل صوت السارد للتعبير عن معاناة معاناة نعيمة، من زوجها، وهذا يعود إلى طبيعة المجتمع الذي نشأت فيه, فهي امرأة طيبة لكنها مشكلتها أنها تعيش في مجتمع ذكوري, يضطهد المرأة ولا يحترمها, يحاول الروائي رصد الظلم والجور الذي تعانيه شخصياته، فمعظمها شخصيات إشكالية تعاني الألم والضعف والتقهقر والسلطة الابوية الذكورية التي تتمثل بسلطة زوجها، الذي يضربها, ويستغلها, ويضهدها. فخطاب الرواية يكمن في رفض ظاهرة التسلط الذكوري، فقد طرح الروائي في تلك القضايا عبر شخصياته المثقفة ، أمّا باستنكار تلك القضايا، أو رفضها، أو الثورة عليها.

ثالثاً: موقف الشخصية الذكورية المثقفة من القضايا الاجتماعية:

لا تخلو رواية من فضاء اجتماعي تتحرك في أجوائه الشخصيات الروائية, وتتمظهر من خلاله علاقاتها, وسلوكياتها وأفعالها في حياتها. لقد استطاع الروائي من توجيه شخصياته وإعطائها ادواراً على وفق طبقاتها التي تنتمي إليها، للتعبير عن مواقفها الفكرية تجاه القضايا الاجتماعية المختلفة التي تتجلى في:

١ ـ الموقف من العادات والتقاليد:

حرص الدراسون في مجال الثقافة على رسم صورة للمثقف الواعي الذي يمتلك أفكاراً خلاقة، يستطيع عن طريقها أن يقود مجتمعه نحو العدالة والمساواة"[٢]، ويرى بعض الباحثين، أنْ الأفكار وحدها لا تكفي، كي يكون المرء مثقفاً، بل عليه أنْ يكون محايداً؛ لا

---

(١) القطار الى منزل هانا: ١٥٢.

(٢) المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية: عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ٢٠٠٩م: ٣٢، ٣٣، ٣٤.

ينتمي إلى أي حزب سياسي أو تنظيم اجتماعي، وأنْ يمتلك الجرأة والشجاعة، على قول الحق، وبذلك يكون المثقف منتمياً ذا موقف إيجابي، يستطيع بفضله تغيير الواقع الاجتماعي والسياسي في بلده"(١). أي لابد أن يتمتع بشخصية مستقلة ، شخصية تعبر عن هويته الثقافية لا هوية الحزب والسلطة التي يخضع لها.

يمكن أن تمثِّل شخصية محمود المرزوق، في رواية مقتل بائع الكتب شخصية المثقف الواعي الجريء،" إذ يتمثل موقفه في رفضه لعادات مجتمعه وتقاليده البالية، ويتمرد على مفاهيمه المغلوطة، ويرفض ما فيه من قيم مزورة، أو علاقات فاسدة، عبر رجال العشيرة أو الدين أو السلطة، وهو كما رسمته الرواية مثقف لا ينتمي إلى جهة سياسية، أو حزب معين، ويتحرك تحت شعار الحرية والعدالة والمساواة، يتحدث فيها بصوت عالٍ ـ وإنْ كان لا يخلو من المواربة في بعض الأحيان ـ عن كل القضايا، التي يعاني منها المجتمع العربي عموماً والمجتمع العراقي خاصة، من جهل وتخلف وفساد، يتبين ذلك في الحوار الآتي، الذي سجله صديقه هيمن أثناء إحدى محاضراته، التي تحدث فيها المرزوق عن رحلاته ومغامراته النسائية، يقول: " **النساء صانعات المسرة, وإلا من غير النساء , ماذا كنا... لو كنا نحن الرجال ننبت مثل الكمأ من الأرض, والعالم بلا جنس حواء , لما كانت ثمة حضارة وثقافة وشعر ورواية وفنون ورسم ونحن وغناء , ورقص وأوبرا, وحتى علم وتكنولوجيا.. لكنا قطيعًا من الكائنات الغبية التي تتقافز كالقردة ويفتك بعضها بعضًا.. الحروب صناعة الرجال.** "(٢).

ويقول متهكماً من المجتمع، الذي يملؤه الزيف والنفاق الاجتماعي:

---

(١) المثقف والسلطة: إدوارد سعيد، ترجمة وتقديم: د. محمد عناني، رؤية للنشر، مصر، ٢٠٠٦م: ١٠٠.

(٢) مقتل بائع الكتب: سعد محمد رحيم: ٣٠.

ـ قريتنا الكبيرة العامرة بأهلها، أستطيع أنْ أؤكد أنّها نظيفة، كصحراء مبرأة من التوصيف الذي ذكرت، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه".(١)

ويظهر من النص السابق أنّ محمود المرزوق لجأ في التعبير عن سخريته إلى الاستعانة بالمفردات التي تتناسب مع مجتمعه، فهو " تجربة سياسية واجتماعية ووجودية هائلة. لا يبدو حرّاً تماما في خياراته، على الرغم من محاولته أنْ يكون كذلك فهو يمثِّل صورة المثقف الحائر، القلق، السلبي إلى حد ما، المملوء بالتهكم، المتسائل من غير توقف "(٢)، فقد وصف بلدته بعقوبة بأنها مدينة جميلة على خلاف اعتقاده، لأنها تقمع المرأة وتمنع الحريات وتنتشر فيها التقاليد البالية.

تصوِّر الرواية جرأة محمود حينما ترجم نصوصاً، إذ "**ترجم بعض المقاطع الجنسية تكهرب الحضور، لكن لم يجرؤ أحد على مقاطعته، النسوة جميعاً غادرن باستثناء واحدة**"(٣) . يُظهِرُ النصُّ الصراعَ بين موقفين متناقضين, هما موقفه الذي يتسم بالتمرد على المجتمع المحافظ, , وموقف المجتمع المحافظ الذي يفرض سطوته على المرأة, ولهذا السبب غادرت النسوة القاعة بعد أن سمعن كلامه. "حاولت الرواية أن تفكك حال الثقافة في مدينة (بعقوبة) بالإحالة على سي(المرزوق)، وتحليل مفهوم الثقافة عنده تلك التي ارتبطت بكتابات محشرية ورسومات قليلة، وسفر غير منتج، روعي مبتسر يخلط بين ما هر سياسى وفني لخلق وهم عام أراد من خلاله (المرزوق) و (مريدوه) صناعة نجم كبير في الفن والأدب، وهذا ما لم يكن؛ لأن صناعة الفن الحقيقي".(٤)

---

(١) مقتل بائع الكتب: سعد محمد رحيم: ٣٢.

(٢) رواية سعد محمد رحيم «مقتل بائع الكتب»: الحياة سرديتنا الكبرى في تعقيداتها ومآلاتها المتناقضة: صفاء ذياب مقال،مجلة القدس العربي،١٦ اغسطس ٢٠١٦م.

(٣)– مقتل بائع الكتب: سعد محمد رحيم: ٣٣.

(٤) في الرواية والرحلة والمقالة:د.فاضل عبود التميمي:٨٠.

ومن الشخصيات التي اتخذت موقفاً ضعيفاً، من موضوع التسلط الأبوي شخصية سامر في رواية "ترنيمة امرأة... شفق البحر" في الحديث الذي دار بينه وبين كلوديا حول معاناة أمه وأخته شيماء، من عنف الأب وممارساته اللاأخلاقية واللاإنسانية بحقهم جميعاً، والتي أدت إلى خراب البيت، على وفق: زواج أخته المبكر وعدم تلقيها التعليم الكافي، وهروبه من واقعه بالسفر إلى الغرب، ليعيش بعيداً عن مأساة الطفولة التي عاناها، والتي طالما يتذكرها ويتحدث عنها يقول:

"ـ **صاحت شيماء جاء؛ طرقاتُ أبي نعرفها يضرب الباب بجماع كفيه أربع مرات، فتحتُ الباب، دفعني وقف بقامته المديدة الصلبة أمّام أمي، التي قامت إزاءه وهي تتوجس خيفة، سألها وعيناه تقدحان بالقسوة والشك أين كنتِ؟**

ـ اجتاحني برد الخوف في نخاعي، كيف عرفَ بخروجنا إلى بيت خالتي.... من هذا الحقير جاسوسك؟ واستدركتُ أنا: كنا معها أنا وشيماء....، أقول: لو أموت .. لو يموت ... لو نموت"(١).

لا شك أنّ تعبير الرواية عن هذه الحادثة، على لسان إحدى الشخصيات المثقفة سامر، تنمُّ عن العقد النفسية، التي خلفتها في نفس سامر فضلاً عن رفض هذه الظاهرة، بوصف النتيجة، التي تؤول إليها من تفرقة الشمل، وخراب البيوت التي ينال النصيب الأكبر منها أمٌّ أو أختٌ, فإنّ رفضَ سامر، لهذا العنف الأسري يدل على رفضه النسق الثقافي، الذي انغرس في المجتمع العربي عبر التاريخ, وأثره في ترسيخ ثقافة اضطهاد الرجل للمرأة, إذ أنّ صفة اضطهاد الرجل للمرأة كشفت عن النسق الثقافي "الذي يتحرك وفقه الخطاب البلاغي الرسمي في نظرته إلى الآخر المختلف الضعيف كالمرأة والطفل" (٢).

---

(١) ترنيمة امرأة... شفق البحر: سعد محمد رحيم: ٥٦، ٥٧.

(٢) النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية: عبد الله الغذامي: المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء,ط٣, ٢٠٠٥, ٥٨

Abstract.

This study aims to search for the extent of the suffering of the intellectual personality in her society, and showed her intellectual, political and social positions, and her concerns, and the problems she experienced in her life, and the novelist's methods varied in presenting the characters of his novels, and at the same time he was keen to highlight their psychological, social, ideological, and realistic dimensions, characters that conveyed to us the reality within the periods of time experienced by Iraqi society, represented its customs and traditions The relationship of the novelist character with the event emerged in the novels of Saad Muhammad Rahim through the embodiment of the subordination of the character to the event The novelist who made a great contribution to determining the fate of the characters seemed submissive to him. We conclude from the above the novelist's keenness to highlight the intellectual personality in his novels, as he presented most of its characters as characters belonging to the educated class, and this indicates the novelist's desire to show the concerns of the intellectual, and his political, intellectual and humanitarian positions, and his suffering in his society, as well as the embodiment of the problem of the intellectual in his country

Diversity in the methods of presenting the characters, according to the standards of critics and their provisions between description and dialogue, as well as the novelist's keenness to provide the characters of his main and secondary novels, as characters, belonging to the class of intellectuals who have obtained scientific degrees, and what supports this is the novelist's desire to address the suffering of the educated class in Arab societies in general, but what we have monitored is that the novelist has included some of his novels many characters, in a limited or narrow spatial space that made the recipient forget some of them, focusing on others. and Iraqi society in particular.